خطبة : الحكم الرشيد للحاكم الراشد

الخطيب : يحيى العقيلي

معاشر المؤمنين

تعيش بلادُنا أياما تتلمس طريقها لمرحلة جديدة ، نسأل الله تعالى بجوده وكرمه أن تكون مرحلة أمن وأمان ، وسلام ووئام ، وبناء وإصلاح ، وتقدّم وفلاح ، وأن يولّي أمورنا خيارنا ويصرف عنها شرارنا ،

وحديثنا اليوم عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ."(صحيح مسلم)

ونصحنا يتمثل في استصحابُ سيرةِ علمٍ من أعلام الأمة ، وخليفةٍ أعاد للخلافةِ راشادتها ومسارها ، وللحكم عدله وأمانته ، كان مثالا تاريخيا نادرا للاصلاح في الحكم والنجاح في القيادة ، والتغيير الاجتماعي الايجابي ،

نذكره لنتلّمس عطرَ سيرته وجميلَ فعاله ومنهج إصلاحه ،

إنه سيدُ الأمراء وقدوةُ الخلفاء، أشجُّ بني أمية، الخليفةُ الراشد والإمامُ الزاهد عمر بن عبد العزيز –رحمه الله ورضي عنه - تولّى الخلافةَ بعهدٍ من سليمان بن عبد الملك بعد مشورةٍ من رجاءِ بن حيوة؛ الوزيِرِ الناصح والبطانةِ الصالحة ، فقد سأل سليمانُ رجاءً فقال : مَن ترى لهذا الأمر؟ فقال رجاء: اتقِ الله؛ فإنك قادم على الله وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه، قال سليمان: فمن ترى؟

قال رجاء: عمر بن عبد العزيز.فكتب له كتابا بذلك وختمه ، ثم جمع رجاءٌ بني أمية وطلب منهم أن يبايعوا من ولّاه أميرُ المؤمنين في الكتاب ، فبايعوا وهم لايعلمون من هو ،

فلما توفي سليمانُ جمعهم و فتح الكتاب وتلاه عليهم بأن الخلافةَ لعمر بن عبدالعزيز ومن بعده ليزيد بن عبدالملك ، فصُدم عمرُ بهذا الخبر وخارت قواه ، فقد كان يترجّى رجاءاً أن يصرف عنه الخلافة اذا شاوره بشأنها سليمان زهدا وورعا ، وإدراكا منه لعظم هذه المسؤلية ،،

و اجتمع الناس في المسجد ينتظرون خطبة خليفتهم الجديد ، وجاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة ، جريًا على عادة الخلفاء قبله ، فقال له: تنَحَّ عني؛ إنما أنا رجل من المسلمين، ثم مشى حتى دخل المسجدَ، فصعد المنبرَ ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: " أيها الناس، إنما بُليت بهذا الأمر من غير رأيٍ مني ولا طُلبةٍ ولا مشورة، وإني خلعتُ بيعتكم، فاختاروا لأنفسكم. فصاح المسلمون صيحةً واحدةً، " قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك."

فلما تمّ الأمر قام وخطب خطبته قائلا : (( أُوصيكم بتقوى الله؛ فإن تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، ثم رفع صوته : أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. ونزل عن المنبر ))

وباشر عمر بن عبد العزيز خلافته وهو يحمل هَمَّ الأمةِ التي سوف يُسأَل عنها يوم القيامة ،، عاد عمر لكنه لم يعد إلى دار الخلافة وإلى قصر الرئاسة كعادة الخلفاء والملوك، بل عاد إلى بيته وأبى أن يسكن دار الخلافة؛ لأنه لا يريد أن يُسأل عن هذا المسكن يوم القيامة

بدأ عمر سيرة العدل بزوجته، فأخذ حُليها ووضعه في بيت مال المسلمين،

و بلغه أن ابنه اشترى فَّص خاتم بألف درهم فكتب إليه: "عزيمةً مني عليك، إلا بعت هذا الخاتم الذي اشتريته بألف درهم، وتصدقت بثمنه، واشتريت آخر بدرهم، ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه، والسلام "

واستكمل –رحمه الله- مسيرةَ الإصلاح، فشهَر سيف العدل في وجوه بني أمية، وأخذ ما في أيديهم من أموالٍ أخذوها بغير حق ، وسمّاها مظالم، فاستشفعوا إليه بعمته كبيرةِ بني أمية فكلمته.. فدعا بجمر ودينار ، فألقى الدينار في الجمر حتى إذا احمرّ أخذه بشيء وقرّبه إلى جلده ، وقال : يا عمّة أما تشفقين على ابن أخيك أن يكوى بهذا يوم القيامة ؟ فخرجت إليهم قائلة : هذا ذنبكم لماذا زوجتم أباه بنت عمر بن الخطاب ، اصبروا فإنه لا يجور .،

وباشر عمر بعد ذلك عزلَ الولاة الظلمة واستبدلهم بذوي الديانة والأمانة والقوة ، ليكونوا له عونا على حمل الأمانة

فكانوا له كما أراد ، حتى تحقّق له الإصلاح المنشود والعدالة المرجوة والرخاء المبارك

وفقنا الله لنا يحب ويرضى ، وأعاننا على البرّ والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

في خلافة عمر بن عبد العزيز كثُر الخير وقل الشر وانتشر الأمن والأمان حتى نقل أهل السِّيَر أن الوحوش كانت ترعى مع الغنم ولا تعتدي عليها

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز فاض المال حتى كان المنادي ينادي: أين الغارمون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ أين الراغبون في النكاح ؟ بل كان هو أولَّ من سنّ المنح الدراسية والعلمية لطلبة العلم ليتفرغوا لطلب العلم ، وكان هو اوَّلَ من أمر بتدوين السنة النبوية .

وكان عماله يطوفون بالزكاة فلا يجدون من يأخذها فكانت تُعتقُ بها الرقاب ويُفكُ بها أسرى المسلمين ، لقد أغنى عمرُ الناس جميعا ،

أتدرون عباد الله كم كانت مدة خلافته؟

وكم احتاج من السنوات حتى حقق هذا الاصلاح وذاك الإنجاز التاريخي ؟! كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام.ولكنها كانت أيامَ عدلٍ وإيمان وإصلاح ، حتى ان الناس في عهده كانت أحاديثهم في مجالسهم عن الفقه وحفظ القران والعبادات ، في حين كانت في عهود من سبقه عن القصور والجواري والأطعمة وصدق ربنا –جل وعلا-: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف: 96].

اما إن سألنا عن أسباب ذلك الحكم الراشد واهم ملامحه وكيف تحقق ذلك الاصلاح فهذا هو حديثنا القادم بإذن الله .